

الوعي بالمنهج ومكونات الجهاز النقدي في شرح الشعر عند ابن مرزوق الحفيد التلمساني

محمد فلاق^{1*}، مصطفى درواش²

¹ جامعة مولود معمري- تيزي وزو ، الجزائر mohammed.fellag@univ-bejaia.dz

مخبر تحليل الخطاب

² جامعة مولود معمري- تيزي وزو ، الجزائر droueche2010@hotmail.com

النشر: 2026/06/01.

القبول: 2026/03/02

الإرسال: 2025/12/28

الملخص:

يتناول هذا المقال شرح ابن مرزوق الحفيد التلمساني لقصيدة البردة الموسوم بـ *إظهار صدق المودة في شرح البردة*، مع التركيز على وعيه المنهجي والأدوات النقدية التي يقوم عليها عمله التفسيري. إذ يكشف هذا الشرح عن إطار منهجي متكامل يجمع بين التحليل اللغوي والنحوي والبلاغي، في الوقت الذي يفتح فيه على الأبعاد السياقية والتناصية والتأويلية للنص الشعري. ومن خلال هذا الجهد التأويلي المنظم، يبرز ابن مرزوق بوصفه شخصية محورية في التقليد المغاربي للنقد الأدبي التطبيقي، باعتباره واحدا من أعلام مدرسة الدراية والممارسة.

يمثل كتاب *إظهار صدق المودة في شرح البردة* نقطة مرجعية في دراسة وتتبع تاريخ وحركة النقد الأدبي في أقاليم المغرب العربي عموما وفي الجزائر على وجه أخص، بما كان له من تميّز عن غيره من المؤلفات، على مستوى منجزه في التأطير المنهجي وعلى مستوى عمق التحليل.

الكلمات المفتاحية: نقد أدبي؛ منهج؛ شرح؛ شعر؛ ابن مرزوق الحفيد.

* المؤلف المرسّل.

Methodological Awareness and the Components of the Critical Apparatus in the Interpretation of Poetry by Ibn Marzuq al-hafid al-Tilimsani

Abstract: This study explores Ibn Marzuq al-hafid al-Tilimsani's *Iḥḥār Sidq al-Mawadda ā Sharḥ al-Burda*, focusing on the methodological awareness and critical apparatus underlying his commentary. The work demonstrates a systematic approach that integrates linguistic, grammatical, and rhetorical analysis, while engaging with semantic, contextual, and intertextual dimensions of the poetic text. Through this exegetical effort, Ibn Marzuq emerges as a prominent figure in the Maghreb tradition of literary criticism, representing the school of knowledge and practice rather than mere transmission. His commentary not only aligns with the scholarly conventions of Maghreb and Andalusian authors but also distinguishes itself by its methodological rigor and analytical depth, marking a significant contribution to the history of literary criticism in Algeria and the Maghreb.

Key words: Literary Criticism; Methodology; Commentary; Poetry; Ibn Marzuq al-hafid.

1- مقدمة:

يشكل الشرح الأدبي في التراث العربي واحدًا من أكثر الممارسات النقدية حضورًا وتأثيرًا، فهو المجال الذي التقت فيه الحاجة إلى الفهم مع الرغبة في التقويم، وتداخل فيه التفسير اللغوي مع الرؤية الفنية والجمالية للنص. وقد عرف التراث العربي حركة واسعة في التعليق على الشعر وبيان معانيه، اتخذت أشكالًا متعددة تبعًا لاختلاف المناهج وتباين غايات العلماء وتنوع اهتماماتهم بين تعليمية وأدبية ونقدية. ومن بين الأسماء التي تميّزت بحضور معتبر في مجال الشروح في البيئة المغاربية، اسم ابن مرزوق الحفيد التلمساني، الذي انصرف إلى شرح الشعر والنظر في ألفاظه

ومضامينه ومقاصده ، بحيث يجمع بين الدقة اللغوية والانتباه إلى البنى المعنوية والبلاغية. ويعدّ عمله أنموذجاً واضحاً لمرحلة متقدمة من تطوّر الشرح في المغرب العربي ، حيث تداخلت المعرفة اللغوية والبلاغية مع الحسّ النقدي ، وتطوّرت أدوات الشارح فلم تعد تقتصر على تفسير الغريب بل تجاوزته إلى بناء قراءة متكاملة للنص استناداً إلى أدوات متعددة ، وامتدت إلى تأويل الرموز وكشف شبكة تناصية عامرة.

يسعى هذا المقال إلى تقديم قراءة منهجية في شرح ابن مرزوق ، محاولاً الكشف عن وعيه بالمنهج وكذا كشف مكونات جهازه النقدي ، وتتبع آليات اشتغاله على النص الشعري ، وكيفية تنظيمه لحركة الشرح ، بالإضافة إلى بيان المرجعيات التي انطلق منها. كما يهدف إلى إبراز الأسس التي بنى عليها ابن مرزوق تصوّره للمعنى ، وموقع اللغة والبلاغة والسياق الثقافي في تأطير تفسيره للشعر. وتبعاً لهذا سنبحث في هذا المقال ثلاثة محاور رئيسة ، أولها توضيح الإطار النظري لظاهرة الشرح في التراث العربي ومكانتها في النقد المغاربي ، يليها بيان المقومات المنهجية التي اعتمدها ابن مرزوق في شرح الشعر ، انتهاء بتحليل نماذج تطبيقية من شرحه تكشف طبيعة أدائه النقدي. كل ذلك حتى لا تقتصر على وصف الشرح ، بل نسعى إلى فهم بنيته الداخلية وتحديد ملامح الوعي النقدي الذي ينهض عليه هذا اللون من الكتابة ، في بيئة علمية كان فيها للشروح دور تعليمي وأدبي ونقدي وثقافي راسخ.

2- الشرح ممارسة نقدية مؤسسة

يظهر النشاط النقدي في التراث العربي في صورتين رئيسيتين: صورة تنظيرية تهدف إلى بناء المفاهيم والقواعد الكبرى التي تنتظم العمل الأدبي ، وصورة تطبيقية تنصرف إلى تحليل النصوص وفهمها من داخل بنيتها. فإذا كان التنظير يضع الإطار المفاهيمي العام ، فإن الشرح يمثل وجه الممارسة العملية للنقد ، بوصفه انشغالاً مباشراً بالنص ، يستكشف معانيه ويحلل مستوياته اللغوية والبلاغية والأسلوبية ، ويقدم للقارئ مسالك تدبر العمل الأدبي. برز الشرح بصفة خاصة في مجال الشعر ، بوصفه نشاطاً ملازماً للنص الشعري نفسه ، ووسيلة لإضاءة مقاصد الشاعر ، والتعليق على تراكيب النص وصوره ، والكشف عن مظاهر البراعة الفنية. وتدل كثرة الشروح في التراث العربي على أنه كان مجالاً معرفياً قائماً بذاته ، تداخل فيه التعليم بالتحليل ، وامتزج فيه الذوق بالسياقات المعرفية الواسعة التي يحملها الشارح.

يكشف التتبع التاريخي لظاهرة تأليف الشروح أن هذا الشكل من التأليف لم يكن مجرد تلخيص أو تفسير لغوي، بل كان يشكل اتجاهًا نقديًا تطبيقيًا مستقلًا، يقوم على ملامسة النصوص من داخلها، وتحليل معانيها، والموازنة بين أساليبها، وإصدار أحكام نقدية صريحة أو ضمنية. وعلى خلاف النقد النظري الذي يبتغي رسم المفاهيم الكبرى، يتجلى الشرح باعتباره نقداً تطبيقياً يعالج النصوص في تفاصيلها وجزئياتها الدقيقة، فيستخرج منها المذاهب الأدبية والمواقف النقدية والمعايير البلاغية التي استقرت عليها ذائقة العلماء.

وترجع أهمية هذا الاتجاه التطبيقي إلى ما ينتجه من وعي نقدي أصيل، إذ يؤدي العمل المتكرر على النصوص إلى استخلاص تصورات قيّمة حول طرائق توظيف اللغة وقواعد البيان وقوانين الإبداع، وهي تصورات تشكل بمجملها الأساس الذي استندت إليه أو أفادت منه جهود تنظيرية لاحقة.

3- نشأة الشروح وأثرها في النقد المغربي

يرجع الباحثون ومنهم محمد تحريشي - نشأة الشروح إلى الحاجة إلى إزالة غموض النصوص وتذليل صعوباتها، بما يتيح للقارئ إدراك معانيها. وقد اعتمد الشراح في ذلك على مصدرين رئيسيين: الذوق الفطري الذي يكتسبهم من تقدير جماليات النص، والعقل التحليلي الذي يقوم بتمييز الأساليب واستخلاص القواعد العلمية¹. ومن ثم، نشأت الشروح كجهد معرفي يقتضي الإحاطة بالسياقات الأدبية واللغوية والثقافية التي أنتجت النصوص. وإن سعة ثقافة الشراح الذين نهضوا بجهد علمي واسع في التحليل والدرس ظهر في مؤلفاتهم، جعلت من هذه الشروح -إلى جانب وظيفتها التفسيرية- مدونةً نقدية متكاملة، لأنها تجمع بين التحليل البلاغي، واللغة، والتاريخ، والنحو، والرواية، فتشكّل بذلك أحد أهم مداخل فهم الشعر العربي وتطوّر أدوات قراءته.

تميّزت بلاد المغرب العربي والأندلس باهتمام كبير بشرح النصوص الدينية والأدبية شعرا ونثرا، فشُرحت أحاديث نبوية شريفة، ونصوص شعرية شهيرة مثل "البردة" و"الهزمية" و"بانت سعاد" و"لامية العرب"، كما شُرحت المقامات والخطب والرسائل، وكان الدافع إلى نشاط الشرح هذا دافعا تعليميا وجمالياً في آن واحد، يقوم على حفظ الشعر وتذوقه وفهم تراكيبه، وتدرّيس فوائده اللغوية. وقد أسهم هذا الجهد التفسيري في تكوين

ذائقة نقدية مشتركة لدى العلماء ، وفي بناء تقاليد راسخة في قراءة النصوص وتدريسها. أي أن الشروح المغاربية قد نمت وتطورت تبعاً لرافدين أساسيين ، هما رافد التقليد التعليمي الذي يقوم على حفظ الشعر وشرحه وإعرابه ، ورافد التذوق الجمالي الذي يتوخى استخلاص قيم النص الفنية من داخله². وقد أنتج هذان الرافدان تراثاً واسعاً من الشروح التي تجمع بين اللغة والبلاغة والتحليل الفني والمنطقي ، وتكشف عن مرونة أدوات النقد عند الشراح المغاربة ، وقدرتهم على التكيف مع تنوع النصوص وغاياتها.

يتبين من رصد جهود الشراح المغاربة والأندلسيين أن الشرح لم يكن نشاطاً هامشياً ، بل كان رافداً معرفياً مهماً في بناء الحس النقدي ، وأحد الموارد الأساسية التي اعتمد عليها النقاد والدارسون في فهم الشعر وتأويله. وأن هذه النصوص تحمل مادة نقدية غنية ، وتخزن آراءً بلاغية وأدبية لم تحظ للأسف إلى اليوم بما تستحقه من قراءة علمية مستفيضة. كما أن كثيراً من هذه الشروح تقف من حيث قيمتها النقدية في مرتبة قريبة أو مماثلة لأعمال كبار النقاد ، وإن ظلت مهمة بسبب هيمنة الإهتمام بأسماء تراثية بعينها على المشهد البحثي ، والاتجاه إليها دون غيرها بالدراسة والبحث.

4- منهج ابن مرزوق الحفيد التلمساني في شرح قصيدة البردة

يمثل أبو عبد الله محمد ابن مرزوق الحفيد التلمساني (766-842هـ)³ ، أحد أبرز أعلام الفكر والنقد في الغرب الإسلامي ، وقد ارتبط لقبه «الحفيد» بتمييزه عن جده الشهير ابن مرزوق الخطيب. وقد تعددت شهادات المؤرخين وأصحاب السير حول مكانة أسرته العلمية ، إذ وُصفت بأنها من البيوتات التي اشتهرت بالعلم والرئاسة والفضل في الجزائر ، فيما قال المقرئ عن بيت المرازقة بأنه بيت علم وولاية وصلاح⁴. وعُرف ابن مرزوق بثقافة موسوعية امتدت إلى علوم الشريعة والعربية والمنطق ، وترك تراثاً ضخماً يزيد على ثلاثين مؤلفاً في هذه المجالات.

4-1- الخلفية العلمية والثقافية ودورها في تكوين شخصية الشارح

تدل سيرة ابن مرزوق على اطلاع راسخ على أمهات الكتب المشرقية في مختلف فنون المعرفة ، وقد صاغ هذا الاطلاع تكوينه وأثر في منهجيته في الكتابة والشرح. درس علوم اللغة والنحو والبلاغة والنقد والمنطق والكلام وأصول الفقه والحديث والتفسير والتصوف وبعض

العلوم التجريبية ، فصار هذا المخزون المتنوع أساساً لثقافته الشاملة. كما استوعب تراث البيئة المغاربية ، فكان نتاجه ثمرة تفاعل بين التراث المشرقي والتراث المغاربي في آن واحد. وتتضح هذه الخلفية العلمية والثقافية أكثر ، إذا ما نظرنا إلى البيئة الأدبية والنقدية التي كانت سائدة في المغرب العربي والأندلس في فترة حياة المؤلف ، فقد ظهر في هذه البيئة عدد من اللغويين والأدباء الذين وضعوا أسساً راسخة للنقد والبلاغة ، من أبرزهم ابن رشيق صاحب «العمدة» الذي ظل أثره ممتداً فيمن لحقه ، والثعالبي في «أنوار التجلي» في شرح قصيدة الحلي. كما تميز القرنان السابع والثامن للهجرة بمدرسة مغربية قوية في البلاغة والنقد ، اتسمت بعمق المعرفة باللغة العربية ، وفهم دقيق لمنطق أرسطو (Aristotle) ، ويندرج ضمن هذه الطبقة حازم القرطاجني وابن البناء والسجلماسي ، إضافة إلى حضور الفكر النقدي عند ابن خلدون وابن رشد.

2-4- دوافع شرح ابن مرزوق قصيدة البردة

يُعد شرح ابن مرزوق «إظهار صدق المودة في شرح البردة» من أهم الشروح الأدبية في الغرب الإسلامي ، لما اشتمل عليه من تصور منهجي دقيق وقدرة على الجمع بين الذوق الجمالي والتحليل اللغوي والبلاغي. وقد كان هذا الشرح نموذجاً احتذى به عديد من الشروح اللاحقة ، إذ اتبعت كثير منها خطته التي تجمع بين المادة المعجمية ، وتحليل المعاني ، والكشف عن الوجوه البلاغية ، واستحضار المعاني الإشارية.

يمتزج في عمل ابن مرزوق اتجاهان أساسيان يتحرك الشرح ضمنهما: اتجاه أدبي يعنى بالقيمة الفنية للنص ، واتجاه ديني يرتبط بمقام المديح النبوي ، فقد اختير نص البردة لكونه موضع تقدير واسع بين عامة الناس إلى عصر المؤلف ، بما يمثله من حمولة روحية وشعبية جعلته رمزاً دينياً. غير أن الغاية الأدبية ظلت هي الأبرز في الشرح ، بدليل ما قرره ابن مرزوق في مقدمة كتابه ، بأنه وضع عليها شرحاً عمل فيه علنتذليل صعاب اللفظ وكذا كشفالنقاب عن وجه المعنى⁵.

توضح مقدمة الكتاب الدوافع التي قادت ابن مرزوق إلى شرح البردة ، وفي مقدمتها إعجابه بالقصيدة ورغبته في الكشف عن جمالياتها ، إضافة إلى رغبة تلاميذه وأصحابه في الاستفادة من علمه في الإعراب والبديع. وقد بدأ ابن مرزوق بشرح مختصر عرف بـ«الاستيعاب» لها في البردة من البيان والإعراب ، ثم توسع في الشرح الأكبر استجابة للطلب المتزايد ، وهو شرحه «إظهار صدق المودة في شرح البردة». كما يمكن القول بوجود دافع تعليمي كان

له دور في تأليف هذا الشرح ، يتجلى في طريقة عرضه للمصطلحات وتعريفها وتبسيطها وربطها تطبيقيا بالشواهد الشعرية والنثرية.

3-4- تأطير الشرح وتقديم منهجه

1-3-4- الإطار العام للشرح

حدد ابن مرزوق في مقدمته الخطوط العريضة لعمله ، فذكر سبب اختياره للقصيدة ، وبيّن غايته من الشرح ، ووثق النص المشروح عبر أسانيد متعددة تنتهي كلها إلى الشاعر البوصيري. وقد أظهر الشارح في هذا الجانب حرصاً شديداً على صحة نسبة الأبيات إلى قائلها ، فأقصى ما لم يثبت له سند ، بل جزم وهو يشرح بعض الأبيات التي شاع تداولها بين الناس أنها ليست من شعر البوصيري ، وأكد نفي نسبتها إليه ، رغم ذبوع روايتها عند العامة.

2-3-4- مستويات الشرح وآلياته

بنى ابن مرزوق شرحه على سبعة مستويات سماها «تراجم» ، تمثل هيكل منهجه التطبيقي ، هي:

أولاً. شرح الغريب: وفيه تحليل معاني الألفاظ المفردة وما يتصل بها من صرف.

ثانياً. التفسير: من خلال بيان المعنى العام للبيت وربطه بسياق مجموعة الأبيات.

ثالثاً. علم المعاني: غني فيه بتوضيح الخصائص الأسلوية للكلمات في التركيب.

رابعاً. البيان: عمل فيه على كشف وتحليل الصور البيانية ودرجات المجاز.

خامساً. البديع: باستخراج المحسنات اللفظية والمعنوية.

سادساً. الإعراب: وفيه ذكر الوجوه النحوية الراجعة دون توسع.

سابعاً. الإشارات التصوفية: ذكر فيها المعاني الإشارية الظاهرة بحسب مناسبة البيت.

وكان ابن مرزوق يُلقق بهذه المستويات «ترجمة ثامنة» لم يبوب لها، يعرض فيها شواهد شعرية أو نثرية توافق معاني الشاعر، ما يمثل اهتماما لافتا بالتناس والتعالق النصي.

يتضح من هذه المستويات أن ابن مرزوق تجاوز حدود الشروح اللغوية إلى بناء نموذج نقدي تطبيقي شامل، يجمع فيه بين التحليل اللغوي والبلاغي والدلالي والروحي. كما أنه قد قسم القصيدة منهجيا إلى ثلاثة وثلاثين مجموعة من الأبيات المترابطة، وجعل كل مجموعة محورا لتحليل مسترسل حسب الترتيب الثابت للتراجم السبعة التي اعتمدها.

4-4- مستويات القراءة في شرح ابن مرزوق للبردة

يتأسس عمل ابن مرزوق في الشرح على مقصدين متلازمين: الكشف عن قيمة النص وبيان تفوقه، وإتاحة مجال التذوق الجمالي الذي يفضي إلى المتعة الفنية. ومن أجل ذلك لا يتعامل مع القصيدة على أنها مجموعة أبيات منفصلة، بل يعدها بناءً كلياً تتشابك داخله طبقات متعددة من الدلالة والتعبير، لا يستقيم فهمه إلا بالنظر إلى هذه الطبقات مجتمعة. لذلك اعتمد مقاربة تقوم على توزيع القراءة إلى مستويات متكاملة، لكل مستوى مجال اشتغاله وحدوده، لكنها جميعاً تتساند لتوليد المعرفة وإحداث الأثر الجمالي عند القارئ. ومن خلال طبيعة هذه المستويات تتحدد أدواته الإجرائية في الشرح.

أ- التحليل اللغوي: من ضبط اللفظ إلى بناء المعنى

يمنح ابن مرزوق عناية خاصة للفظ والتركيب، ويجعل من شرح الغريب والإعراب مدخلين أساسيين لضبط الدلالة. ففي شرح الغريب يستقصي المعاني المعجمية الممكنة للفظ، ثم ينتقي منها ما يلائم سياق البيت ومقصده، ويستبعد ما لا يخدم المعنى الشعري. ولا يقتصر على الألفاظ الغامضة، بل يعرض للمداخل المعجمية لأغلب مفردات البيت، حتى الواضحة منها. ولا يتعامل مع الدلالات المعجمية بوصفها معاني متفرقة، بل ينظر إليها في مجموعها على أنها كتلة دلالية واحدة تسهم في تشكيل معنى اللفظة، ثم تندمج هذه الكتلة في بناء أوسع هو معنى البيت الشعري أو عدد من الأبيات التي تضمها مجموعة محددة، بما يحقق الانسجام بين الجزء والكل.

أما في الإعراب ، فيقتصر على الأوجه القوية إدراكاً منه لأثرها في توجيه المعنى وإغناؤه ، فالعلاقات النحوية ليست عنده قضايا شكلية ، بل وسائل لتحديد المقصود وترسيخه. ومع ذلك ، نجده يؤخر الإعراب في ترتيب مستويات الشرح فيجعله بعد مباحث البلاغة ، على خلاف ما قد يُنتظر ، وربما كان ذلك لأن عمله في إعراب البردة قد سبق له أن تناوله في كتاب آخر له من قبل.

ب- بناء الدلالة الكلية: التفسير وإعادة كتابة المعنى

كانت ترجمة التفسير أغلب مادة الشرح عموماً ، إذ اتخذ ابن مرزوق مجاًلاً لإعادة تركيب المعاني وبناء دلالة شاملة للقصيدة. فالتفسير عنده لا يقف عند حدود شرح المفردات أو توضيح المقاصد المباشرة ، بل يقوم على وصل الآيات بعضها ببعض ، ومن ثم تتولد قراءة تجعل القصيدة سياقاً متماسكاً تتساند فيه المعاني وتندرج.

وفي هذا المستوى لا يكفي الشارح بإبانة المعنى ، بل يصوغه من جديد في خطاب تعبيرى مواز ، يلفت القارئ ويمنحه إحساساً بأنه يطالع نصاً إبداعياً جديداً. ويعزز هذا البناء بإيراد شواهد شعرية ونثرية تتوافق مع المعاني التي يعرضها. من أمثلة عمل ابن مرزوق في تفسير أحد الأبيات قوله: «[...] كأن المخاطب يقول حين أقر: لما فارقتُ أحبابي أولاً أدركني من الحزن ما يدرك من فارق أحبابه فأضناني ذلك ، لكنها حالة صادفتني صحيح الجسم قوي الاحتمال ، فكان ذلك يقاوم ما بي من الضنا ، فكنت أنام أحياناً وأتسلى عنهم ، فلما طرقي خيالهم في النوم وجدد عليَّ الحالة الموجبة للمرض وصادفني عليلاً انتقضت قواي بالكلية إذ لم يلق فيّ مقاوماً ، وهذا المعنى هو موجب صعوبة انتكاس المريض بعد إفاقته»⁶.

من خلال التفسير تتجلى غاية الشرح التي أعلنها في المقدمة: الجمع بين بيان ما تتميز به معاني النص من جودة ، وتبيين ما فيه من سمو في النظم ، هذا من جهة ، بالإضافة إلى تحقيق التذوق ومشاركته من جهة أخرى. وهو في ذلك يقترب من منهج يقوم على التفاعل الوجداني مع النص ، والاندماج في تجربته النفسية والانفعالية. كما يكشف أسلوبه في هذا المستوى عن حس أدبي رفيع ، يتجلى في ألفاظه وعباراته المتخيرة ، وصياغة أسلوبه الالفة.

ج- تفكيك الجاهليات: الاشتغال البلاغي في المعاني والبيان والبديع

قدم الشارح في التفسير صورة إجمالية عن القيمة الفنية للنص ، واكتفى بجانب الدلالة في شرح الصور الشعرية ، أما مباحث البلاغة فأفرد لها مجالاً خاصاً لتفصيل القول في عناصر الجمال ، وأعضد تحليله بالشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر ، وأقوال العلماء. من عمل الشارح في ترجمة المعاني قوله: «وفي البيت الأول إيجاز الحذف إذ التقدير "دمعا من عينيك على طلل لأحبابك" ، و"لا أرقت ليلك" ، وقد لا يعلق أرقت بمفعول فيه وهو أولى ليعم السهر أوقاته لا ينام ليلاً ولا نهارة ، وإنما قدم المفعول في البيت الثاني وهو "لوني عبّرة" على الفاعل وهو "ذكرى" لأمرين: الأول القافية ، والثاني أن تقديمه عنه العادل المخاصم أهم لأن به تقوى الحجة»⁷.

انصب جهد الشارح في "البيان" على تحليل الصور البيانية ، بشرح عناصرها وتحديد نوعها والكشف عن أثرها الجمالي ، مع الاستشهاد بما يلائمها من نصوص. أما في البديع فيستخرج المحسنات المختلفة ، ويربطها بما تحدثه من أثر في نفس المتلقي.

د- من التفسير إلى التأويل: الإشارات الصوفية أفقاً للمعنى

يلغ خطاب الشرح عند ابن مرزوق طبيعة مختلفة حين ينتقل إلى المعاني الإشارية ذات الطابع الصوفي ، التي عبّر عن تفاوتها بين ما هو جلي قريب ، وما هو لطيف خفي لا يهتدي إليه إلا الناقد المتمرس. كما أن صرح بالتزامه بما يراه من مراد الشاعر فقط. وفي هذا المستوى لا يستند الشرح إلى أدوات تحليلية محددة ، بل يغدو فعلاً إبداعياً يتخذ من النص الأصلي منطلقاً ومن التراث الصوفي مادة ، فيكون بمثابة ولادة ثانية لمعاني القصيدة. يقول الشارح في واحدة من تراجم الإشارات:

«تقدم في قوله "أمن تذكر جيران" ، أن الإشارة إلى الحضر على البكاء واستدامته لطبي العيب عنا فيما يراد منا من أمور الآخرة ، وبلا شك أن الذي لا يبكي إلى الآخرة هو المستغرق في أحوال الدنيا المغرق في بحارها. فكان المعنى في البيتين الأولين هكذا ينبغي أن يكون حال التحرير أن يكون بكاؤه حيناً إلى الجنة التي هي ذو سلم ، أو خوفاً من النار التي هي كاظمة ، لا من يبكي لتذكر جيران من أهل الدنيا أو هبوب ريح من تلقاء ديارهم ، أو يصرف همته إلى

ظاهر زخرف الدنيا وبهاء رونقها ولذيد جنى ثمرها ، وقد سكرت أبصار قلوب أمّالها عن النظر إلى قبيح عيوب أفعالها ، فهم في ملاذها منغمسون وفي هلكة فتنتها متورطون ، مع علمهم بسوء عواقب من خطبها وتجرع مرارة شربها وسرعة استرجاعها ما وهبت وإخراجها مما ملّكت ، فليس ينجو منها إلا من حذرها ، ولا يهلك فيها إلا من أمنها ، وكذلك صورة الهوى فهما في الفتنة سواء»⁸.

كشفت مادة الإشارات التصوفية قيما ومعاني أبانت عن حقيقة تصوف ابن مرزوق الحفيد ، فرسمت صورة لتصوف سني أساسه الفقه والانضباط التام بقواعد الدين وأصوله.

5- خاتمة

يتبين من منهج ابن مرزوق في شرحه للبردة أنه يمارس قراءة متعددة المستويات ، تستثمر المعجم والنحو والدلالة والبلاغة والإشارة ، في صياغة رؤية نقدية تهدف إلى كشف جمالية النص وإظهار أفضليته. ويبرز من خلال شرحه صوت ناقد واسع الثقافة ، قادر على الحوار مع الآراء المختلفة ، تأييدا أو رفضا أو ترجيحا ، مع إبداع نص مواز يعكس ذوقه وعمق فهمه.

يكشف شرح ابن مرزوق لقصيدة البردة عن نظرية في القراءة ، قوامها تثوير ما في النص من معان معجمية ونحوية وتفسير المعاني وربطها بما تتناص معه من نصوص مختلفة ، دون إهمال تحليل الأساليب البلاغية ، وتفكيك وتأويل ما في النص من دلالات إشارية. إن ابن مرزوق لم يكن مجرد ناقل لمألوف الشروح ولا مستنسخا لجهود السابقين ، إذ أظهر تحليل جهازه المفهومي وفحص المنطق الداخلي الذي يحكم بناء شرحه ، وعيًا نقديًا تجلّى من خلال كل الممارسات النقدية التي اتبعها الشارح ، وأهمها اختياره وتحديد مستويات الشرح ، وكذا طريقته في الربط بين اللغوي والدلالي والجمالي.

6- الهوامش والإحالات:

- 1- يُنظر: محمد تحريشي: أدوات النص ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2000 ، ص51.
- 2- يُنظر: محمد رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، مؤسسة الرسالة ، ط 2 ، بيروت 1993 ، ص71.
- 3- تُنظر ترجمته الكاملة في عدة مصادر مشرقية ومغاربية ، منها نفح الطيب المشار إليه أدناه ، ومنها أيضا:
- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف ، تح: محمد رؤوف القاسمي الحسني ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص156.

-
- ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تح: محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908 ، ص 210.
- 4- أحمد بن محمد المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995 ، ج 7 ، ص 395.
- 5- يُنظر: ابن مرزوق الحفيد: إظهار صدق المودة في شرح البردة ، تح: محمد فلاق ، موفم للنشر ، 2011 ، ج 1 ، ص 48.
- 6- المصدر نفسه ، ص 98.
- 7- المصدر نفسه ، ص 89.
- 8- المصدر نفسه ، ص 83.